

الانساني ، ولذا فهو يطمح حتى لصداقة كلب - شكية - « لا يمكن ان احتمل هذه الوحدة ، روجي تطلب روحا ، شيئاً حيا ، اراه ، اسمعه ، اضع يدي عليه ، احس بوجوده ، بقربه بحركته من حولي » (١٧) .

فعلى الرغم من ظلم الآخرين له ، فهو غير قادر على العيش بعيدا عنهم . فحتسى الروح تنشد روحا اخرى فالانسان مجموع علاقات اجتماعية ، ذلك هو منطق الوجود الانساني لا الطبيعي ، ان الاندغام الحقيقي بالوجود يرفض منطق الوحدة ، فالآخرون ليسوا هم الجحيم كما تزعم الوجودية بل من خلال تماسنا بهم ننسج خيوط تفردنا الانساني .

على حين نجد ان (حي بن يقظان) - ابن طفيل - ينتهي الى العودة الى الطبيعة ، بعد ان « تصفح طبقات الناس فرأى كل حزب بما لديهم فرحون : قد اتخذوا الهمهم هواهم ، ومعبودهم شهواتهم ، وتهالكوا في جمع حطام الدنيا ، والهاهم التكاثر حتى زاروا المقابر ختم الله على قلوبهم ، وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ، ولهم عذاب عظيم » (١٨) .

ان مؤدّف - ابن طفيل - المعقلن للعالم الطبيعي لم يواكبه رؤية مماثلة للعالم الاجتماعي ، بل كان على درجة كبيرة من الاحتقار للناس ، على حين يلقي حنا ببطله - المرسلني - في اتون مشاغلهم . فقد خرج - المرسلني - من الناس لظلمهم وانكارهم له ، وعاد اليهم ، منخرطا في همومهم ، فعوضا من عودة - حي - الى الطبيعة يعود - المرسلني - الى الناس ، لبلدته مدافعا عنها امام هجمة الحوت . ومن هنا يغدو ما اكده البعض على الصلة القائمة بين فلسفة حي بن يقظان والياطر ، مسألة لا تتعدى المشاكل الخارجي في تجربة البحث عن المعرفة . والامر ذاته ينطبق على (حي بن يقظان) المسهروردي الذي كان يطمح الى امسك مطلقه الفردي عبر المطلق الالهي . غير ان حنا يبحث من خلال حلم الجماعة البشرية عن مطلق الفعالية الانسانية ، يطلقها ، يجردها ، متوجا مجد الحياة وقيمتها العظمى .

الغاية في الياطر تجاوز حدود مصطلح القاموس الجغرافي ، لتخضع للقانون الاحيائي في منطق الفن الذي يجسد فيها الامومة النقية ، عودة للدم النقي ، عبّر مصافحة الروح الرطبة ، لحرارة الكون المنبثة في اضلاعها ، عودة للطفولة عودة للخطة الشاعرية التي سحقتها همجية القحط في الواقع الخارجي . « اغتالني الطبيعة فكرهتها .. اغتالت الشيطان في داخلي كنت منسجما مع شيطاني . كان ملائما لجسمي وروحي . هجرني لاني تنسكت » (١٩) .

فكما كان الفقراء وامرأة اللقبو ، المطهر في (الشمس في يوم غائم) فان الطبيعة وشكيبية هما المطهر في الياطر . ولذا فقد بدأ المرسلني الجديد يستيقظ من بين انقراض القديم ، كلما امعن تجربة وكشفا واكتشافا ، بدأت تتفتح في ذهنه معان للقيم ، بعد ان كان يجهل ما معنى الخوف ؟ ما معنى الشجاعة ؟ ما هي الفضيلة ؟ وما هي الرذيلة ؟ يزهر الندم في أعماقه رغبة صادقة في التجاوز ، يحزن للساعات التي وجهها لزوجته وابنه ، تتنامى في داخله نزعة الابوة ، بعد ان كاد - سابقا - ان يفتك بابنه لاتفه الاسباب « يا بني لماذا كتب علينا ان نقتل ، انا وانت ، ونتعذب ونتشرد ونسجن ، ونعذب املك معنا » (٢٠) . وبذلك يحقق المرسلني في مسيرة الاكتشاف بعدا جديدا في تنامي وعيه لذاته ، وللفعل الصادر عنه ، انه يتحدث عن قتله لـ زخريادس كأمر قدرني مكتوب ، فلم يعد يتحدث عن كرشه والذهب . وهذه خطوة في رحلة اكتشاف العالم وضروراته ،